

زيدون... الشهيد!

بقلم عثمان سعدي

كشفت جريدة « الاكبريس » الفرنسية بمددها الصادر في ١٠/١١/١٩٥٥ - الفناع عن جريمة قتل قام بها البوليس الفرنسي بالجزائر وذهب ضحيتها شاب جزائري كان قد تخرج سنة ١٩٥٤ من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وهذا ما كتبه الجريدة الفرنسية:

« يبدو ان المغالاة في التنكيل لم تكن في يوم من الايام افضح مما هي عليه الآن في الجزائر منذ عام ، فقد اصبح التمدب بالكهرباء والعطس في الماء امراً طبيعياً اعتادت عليه السلطات الفرنسية البوليسية في قسنطينة وهران ضد كل من يشبه في امره ... وان مثل هذه الاعمال الوحشية سيأتي اليوم الذي تصل فيه الى كل الاسماع ، فتكون فضيحة كبرى لفرنسا امام الرأي العالمي ..

وهناك قضية قتل ، دبرها بعض رجال البوليس من ذوي النفوذ في الجزائر ، وضحية هذه الجريمة شاب جزائري مسلم يبلغ من العمر ٣١ سنة واسمه « زيدون بن القاسم » ، وكان قد القي عليه القبض في ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٤ في مدينة وهران ، وكانت السلطات الفرنسية تعلم انه من الوطنيين الذين كانوا في القاهرة ، وظنت انها قد وقعت على صيد ثمين حيث توهمت انه همزة وصل بين الثوار الجزائريين والقاهرة ... وبعد مرور ثمانية ايام قضاها في سجن وهران نقل الى الجزائر حيث سلم لبوليس العاصمة للتحقيق معه ، وما ان وصل الى غرفة التحقيق حتى اتضح لجلاديه ان التمدب السابق قد افقده النطق ، وبالرغم من هذه الحالة البشمة التي صار فيها جسده عبارة عن قطعة لحم تشبه الجثة المهامدة فقد تداولت تمذيبه المرة تلو المرة ايدي المجرمين الى ان فارق الحياة ... وعندذاك قام المجرمون بتنظيم مسرحية يوهمون بها الناس بأن « زيدون بن قاسم » تمكن من الفرار من السجن ، ولكن المجرمين ارادوا ان يخفوا جريمةهم النكراء فوضوا جثة الشاب الجزائري داخل زكبية ، ثم اتقلوها بسبعين كيلو من الرصاص ، والقوها في البحر على بعد ٤٠ كيلومتراً من الساحل ...

ومن سوء حظ المجرمين من رجال البوليس الفرنسي ان رجلاً اكتشف الجثة قرب دلتا (وادي الحمير) وكانت امواج البحر قد دفنتها الى هذا المكان بمد ثلاثة اسابيع. ولقد تمكن اهل « زيدون بن القاسم » من التعرف عليها ، رغم ما اصابها من تشويه ... »

★

يدوقه كل حر على يد اعداء الحرية والانسان ، فافقدوك النطق بعد اسبوع من اعتقالك .. ولم تبق الا عيناك ، تشعان بنظرات ساخطة ، وبشر من اللعنات ، لم تتعلمها عيون جلاديك فضاءقوا في تعذيبهم ، وعجلوا في القضاء عليك .. وبعد ان قتلك ، بقيت عيناك ساخستين في وجوههم الكربية ، ترسلان اشعة ساخرة ، ولعنات محرقة ، وعلت وجهك ابتسامة فيها معنى مزدوج من الاطمئنان والسخرية فيها ما يحسه كل من ادى واجبه نحو وطنه ثم رحل مطمئن البال مرتاحه ساخراً من هؤلاء الجلادين الذين حرموها هذا الاطمئنان .. وبقيت هذه النظرات والابتسامات ، تطاردكم بعد موتك ، فرموا بك في اعماق البحار تخلصاً منها ، لانهم جبناء يا زيدون ، خشوا ان ينقلب جثمانك الى تراب يعمي ابصارهم ، بعد ان تذروه الرياح .. رياح الجزائر يا زيدون .. جبناء ... قتلك وانت لا تملك الا قلبك ، والا تقاتلك الانسانية ، ولو خصصوا لك احد كتبهم ليارزك بالقلم عن شرعية الوجود الفرنسي بالجزائر ، لاسكنته بجنتك ولا فحمته بسخريتك ، لان الحقيقة هي التي ستعقب جرات قلبك لتدحض اقوالا كلها ظلم ، كلها كذب ، كلها هتان .. ولو وجدوك

قتلك يا زيدون ... واتقلوا جثتك بالرصاص ثم قذفوا بها في اعماق البحار بعد ان نهشوا لحمها كما تنهش الكلاب المسهورة جثة بطل انسان ...

لقد ارادوا ان تكون جثتك طعمة للسماك ، الا ان السمك ابي بغير رزقه البريئة ان يسيء الى جثتك عند ما احس انها جثة بطل .. جثة انسان ... يا عجباً ! يحترق الحيوان الانسانية في رفاتك ، ويدوسها ويعبث بها اخوك الانسان .. يا عجباً ، تضغط غريزة الحيوان على الجوع الذي أمسك به اكراماً لانسانيتك ، ويهينها اخوك الانسان اشباعاً لشراسته ونهمه ..

لقد رموا بجثتك في اعماق البحار لانهم ارادوا ان يجرموا تربة الجزائر الحبيبية حتى من جثتك .. ولم يدرك هؤلاء الاغبياء انك اسمى واعز من ان تتخلى عنك تربة الجزائر الحبيبية ، التي ثارت عند فراقك فولوت وانثت ، وانطلقت ولولتها وانانها عواصف هائجة الى البحر ، فأثارت امواجه ، واجبرته على ان يتخلى عنك ، بعد ان عشق معنالك في جثتك ، واراد الاحتفاظ بك في اعماقه ...

لقد رموا بك في اعماق البحار .. بعد ان اذاقوك ما

دار بيروت - للطباعة والنشر

بناية الساعاتية، شارعين بشارت بيروت - لبنان

صدر حديثاً

ق.ل

١- ذلك المرض...

١٠٠ السل علاجه والوقاية منه

تأليف

الدكتور يوسف حبيب الدكتور ادوار باروكي

قدم له

الدكتور الياس الخوري

•

٢- الفن الفناي

١٥٠ عند العرب

تأليف : نسيب الاختيار

•

٣- الرومانطيقية

الكتاب الاول من مجموعة المذاهب الادبية

تأليف

ترجمة

بهيج شعبان

فان ديفم

حاملا لبندقية في الجبال لما استطاعوا قتلك لانك في هذه الحالة تصير حاملا للعصا التي يحشاها العبيد الجبناء ...

لقد قبضوا على مصطفى ... يازيدون ، مصطفى الذي يحبه كل قلب ينبض بالجزائرية .. مصطفى بطل ثورتنا الجميلة ، انهم حكموا عليه بالاعدام ثم خافوا تنفيذ الحكم ، الى ان سنحت له الفرصة ففر من السجن هو وزملاؤه الابطال . أتدري لماذا ابوا تنفيذ الحكم فيه .. لانهم وجدوه حاملا مسدساً : لهذه اللغة التي لا يفهم غيرها الا انزال ..

وامك يازيدون .. لقد ودعت الحياة ، وجاءك خبر وفاتها وأنت لازلت في القاهرة ؛ لقد كانت تتحرق شوقاً الى ذلك اليوم السعيد الذي ترجع فيه الى الجزائر وانت « عالم » .. أتدري يازيدون .. من هو « عالم » بمفهوم امهاتنا الساذج ..؟ انه يعني « عالماً باللغة العربية » ، لان مقيلس العلم عند امهاتنا هو معرفة اللغة العربية ، وليكن الشخص مهندساً او طبيباً ، فانه جاهل في نظرهن ما دام لا يحمل هذه الميزة .. أتدري يازيدون .. ما يعنى هذا اذا ترجمناه الى لغة الثقافة ..؟ انه يعني ان امهاتنا يفسرن كل شيء بمفهوم الوطنية الساذج عندهن ..

لقد رجعت يازيدون فلم تجد هذه الأم في انتظارك وأخبروك انها تركت لك هدية . هدية كل ام الى ابنها .. عدة الزواج ، كسوة العروسة .. واثاث البيت .. بيتك المقبل .. أتدري من أين اتت بهذا كله يا زيدون ..؟ انها كانت تحسم بالفرنك من مرتب ابيك البسيط وتشح على معدتها وعلى معدات اخوتك الصغار ، ثم تحتلس من الحياة القاسية في كل شهر شيئاً .. لقد كانت تطوف الحمامات في كل اسبوع ، وتشرذ بنظرها بين بنات المدينة ، وكانت كلما أعجبتها فتاة اقتربت منها واحتضنتها ثم همست في أذنها بقولها : « انك من نصيب ابني زيدون ... الا تعرفين زيدون ...؟ انه ابني الذي سيرجع من القاهرة - عما قريب - « عالماً » . فكانت تزوجك في كل اسبوع مرة حتى صارت خطيباتك تعد بالعشرات ... أتدري يازيدون ماذا سيفعل ابوك الآن بهذه « الهدية » ..؟ انه سيبيعها ويدفع بثمنها للثوار ، لكي يزفوا به الموت الى جلاديك الا انزال ...

عشان سعدي

القاهرة